تجديد الخطاب الديني

بين

ثوابت العقيدة ومتغيرات العصر

دكتور

جمال فؤاد خليفة محمد القاضي

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين بأسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي الأمين عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه واتبع هُداهُ إلى يوم الدين.

وبعـــــــد

فإن التجديد من سنن الحياة، والتطوير من قوانين الوجود. والبديل للتجديد هو الجمود. والجمود يعني توقف الحياة عن الحركة، وهذا أمرٌ مستحيل؛ لأن الحياة والحركة صِنوان لا يفترقان، فالحياة في حركة دائمة وتجديد مستمر.

والإسلام بوصفه دين الفطرة يتمشى مع سنن الحياة، ولا يصادم الفطرة الإنسانية، وانطلاقاً من هذا المعنى، كان من الضروري تجديد الخطاب الديني؛ ليُواكب ظروف كل عصر وما يدور فيه من متغيرات.

والتجديد المقصود ليس أمراً عشوائياً ولا ينطلق من فراغ، وإنما هو تجديد يتوقف على فهم الواقع من أجل الكشف عما فيه من سلبيات للانطلاق من ذلك الفهم إلى تصحيح الأوضاع وتمهيد السبيل لإثراء الحياة.

والخطاب الديني بالإضافة إلى كونه وسيلة للتواصل بين البشر "أفراداً وجماعات" فإنه يُعدّ من الوسائل الهامّة في تشكيل البنية الذهنية والتكوين العقلي للبشر وهو أحد المؤثرات الأساسية على

النفس البشرية، وبخصائصه العامة يُعد وسيلة أساسية بل يكا
يكون الوسيلة الوحيدة لتوجيه الأفراد، وتغيير المجتمعات، ومصد
أساسياً لوعي غير المسلمين بالإسلام.

من أجل هذا كان الخطاب الديني في حاجة ماسة إلى التجديد سواء
من أجل إيضاحه أو تعديله بما يتوافق مع مقتضى الحال في ظل
المتغيرات الدولية وفي مقدمتها ما أطلقوا عليه "صراع
الحضارات" للتأكيد على دعوة الإسلام لتكامل و التقاء الحضارات.
كما أنه أيضاً بحاجة إلى التجديد لكي يقدم الإسلام في صورته النقية
الصافية السمحة بلغة عصرية واضحة للأجنبي في مفهومه الغربي.
وهذا مطلب حضاري من إيقاع المرحلة يرقى إلى حد الضرورة،
تجلية للحقائق، وكشفاً للأباطيل والزيف الذي يحيط بالإسلام، وما
يتعرض له من حملة ظالمة شرسة في وسائل الإعلام الدولية.
لكن ثمة أمر يجب التركيز عليه وهو أن تجديد الخطاب الديني يكون
في الأسلوب والوسائل والأمور الفكرية والاجتماعية من أجل مواكبة
العصر أمام المتغيرات المتلاحقة، وهذا أمر محمود. أما ثوابت الدين
وما هو معلوم من الدين بالضرورة فهذا لا يمكن المساس به بأي
حال من الأحوال..

هذا وقد صدرت البحث بتقديم نبذة مختصرة عن مفهوم التجديد
وأهم شروط المُجدد، ثم تعرضت لواقع الخطاب الإسلامي المعاصر،
ثم بينت أهم ملامح التجديد والتي تضمنت

إعداد الداعية العصري، وتوظيف آليات الإعلام، ثم تحدثت لضرورة تجديد الخطاب الإسلامي في الغرب بينت فيه سبب فهم الغرب للإسلام وأسبابه، ثم بينت أهم الركائز لإنجاح الخطاب الإسلامي في الغرب..

وأخيراً هذا جهد المقلّ، وحسبي أني ما نشدت إلا الإتقان، وما ابتغيت إلا الصواب، وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله.

مفهوم التجديد

تجديد الخطاب الديني ضرورة ملحة، ومطلب ديني أكد عليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[1].

وحتى يُمكننا فهم القضية فهماً صحيحاً والوقوف على أبعادها، ومراميها؛ فإنه لابد من وقفة مع الحديث الشريف، وقبل بيان ذلك أرى ضرورة بيان:

- **معنى التجديد لغة واصطلاحا.**

أولا من ناحية اللغة

بالرجوع إلى كتب اللغة تبين أن معنى التجديد: وجود شيء معروف عند الناس ولكنه بحكم ما مرّ عليه زمن أصابه البلى والقدم، ولذلك احتاج إلى إعادة بناء وترميم[2]. ولهذا فإن المعنى المنشود في التجديد أن يكون على صورة أفضل مما سبق.

1- أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم باب: ما يذكر في قرن المائة، ١٠٩/٤

2- راجع: لسان العرب لابن منظور.

ثانيا من ناحية الاصطلاح

فمعناه لا يخرج عن المعنى اللغوي فهو: الإحياء والبعث والإعادة والتغيير، كما قال تعالى: { أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ }[٣]. وقوله: { وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ }[٤]. أي خلق حديث.

وعلى هذا فقد قال العلماء الثقات من هذه الأمة:

إن تجديد الدين معناه: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة وتوجيه الناس إلى العمل بما ترك من شعائر الدين.

نقل العزيزي في شرحه للجامع الصغير عن العلقمي:

إن معنى التجديد: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما"[٥]. فجعل التجديد ينصب على العمل.

وقال المناوي في معنى يجدد: أي يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله ويكسر أهل البدعة[٦]. فجعل التجديد ينصب علم العلم.

3- سورة ق الآية ١٥.
4- سورة السجدة من الآية ١٠.
5- السراج المنير: للعزيزي ١١٤/١.
6- فيض القدير شرح الجامع الصغير: للإمام المناوي ٢٨١/٢-٢٨٢، ط. المكتبة التجارية مصر.

وفي موضع آخر قال: "يجدد ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وما خفي من العلوم الظاهرة والباطنة"[٧].

هذا عن معنى التجديد.

أما عن معنى:

الخطاب الديني:

فالخطاب في اللغة: المواجهة بالكلام[٨].

والمراد به هنا: الوسيلة أو الأداة التي يتم بها نقل الرسالة وتبليغها إلى الناس، وعلى ذلك فالمقصود بتجديد الخطاب الديني: هو ما يعيد للأمة الإسلامية في مجموعها هويّتها الدينية، وينمّي فيها الاعتزاز بدينها، وتنشط به الدعوة إلى الله تعالى **داخلياً وخارجياً.**

وهو مطلب ديني أكد عليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله الذي ذكرناه آنفاً : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[٩].

مدلول الحديث:

7- المرجع السابق ١٠/١.
8- أساس البلاغة للزمخشري، ص ١١٤، ١١٥، ط. دار المعرفة، بيروت.
9- سبق تخريجه.

والمدقق في الحديث الشريف السابق يلحظ أنه يتضمن نبأ من أنباء الغيب أخبر به المعصوم صلى الله عليه وسلم، وهو إحدى البشارات العظيمة التي وعد بها رسول الله أمته، وإنه ليمنح المؤمن المصدق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم طاقة من الأمل الأكيد بنصر الله لعباده المؤمنين، ويمنحه فوق هذا دفعة قوية للعمل والبذل والتضحية؛ رجاء أن يكتب الله له حظاً من أجر المجددين.

كما أنه أيضاً يهدف إلى بعث الأمل في نفوس الأمة بأن جذوتها لن تخبو وأن دينها لن يموت، وأن الله سبحانه يقيض لها كل فترة زمنية من يجدّد لها دينها.

من يقوم بالتجديد:

أما من يقوم بالتجديد والإحياء فذلك موقوف على بيان معنى {مَن} الواردة في الحديث الشريف.

فقد فهمها بعض العلماء على أنها للمفرد، لذلك اعتبروا المجدد فرداً واحداً من أفذاذ الأمة تبعثه العناية الإلهية ليُجدّد ما دَرَس، ويقوِّي ما ضَعُف، ويرتّقُ ما فُتِق؛ ومن هنا ذكروا عدداً من المجددين الأفراد[١٠].

في المقابل الآخر نرى كثيراً من العلماء على رأسهم ابن الأثير[١١]، والذهبي[١٢]، وابن حجر[١٣] .. وغيرهم يرون أن {من} في الحديث

10- راجع: فيض القدير ١٠/١.
11- جامع الأصول ٣٢٠/١١.
12- فيض القدير ١١/١.

الشريف للجمع لا للمفرد. فقد قال-ابن الأثير رحمه الله: "وقد تكلموا في تأويل هذا الحديث وكلٌّ أشار إلى القائم الذي هو من مذهبه، وحملوا الحديث عليه، والأولى العموم فإن {من} تقع على الواحد والجمع، ولا تختص أيضاً بالفقهاء، فإن انتفاع الأمة يكون أيضاً بأولى الأمر، وأصحاب الحديث، والقراء، والوعّاظ[١٤].

الرأي الراجح

والذي أرتضيه هنا هو الرأي الثاني الذي يفيد أن {مَن} تصلح للجمع كما تصلح للمفرد واستخدمها القرآن الكريم كذلك في قوله تعالى: {ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون نقيراً}.

وفي السنة النبوية جاء قوله عليه الصلاة والسلام: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[١٥].

فقد أناط هذا الحديث نصرة الدين في الزمن بطائفة تقوم على الحق لا بفرد واحد.

13- فتح الباري ٢٩٥/١٣.
14- جامع الأصول ٣٢٠/١١ وما بعدها.
15- أخرجه مسلم في صحيحه جـ١٣، ص ٦٥.

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بينّ أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدّثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر .. ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونوا مفرقين في أقطار الأرض.

أهم الشروط التي يجب توافرها في المجدد:

هناك شروط يجب توافرها في المجدد أهمها:

أن تكون لديه الأدوات الصحيحة لفهم الإسلام، وأهمها: العلم باللغة العربية، والعلم بالكتاب والسنة، والعلم بأصول الفقه، والعلم بمواضع الإجماع المتيقن، وطرائق القياس والاستنباط، والعلم بمقاصد الشريعة وقواعدها الكلية..

وأن تكون لديه القدرة على عرض حقائق الدين وتزيينه للناس حتى يظل متجدداً في حياتهم معالجاً للمشكلات التي يواجهونها سواء في مجال العقيدة أو في مجال دحض خصوم الإسلام والرد على افتراءاتهم، أو في مجال التعاون بين العلماء والحكام المخلصين من أجل إحياء مفاهيم الدين في النفس والمجتمع والدولة[١٦].

كذلك يشترط في المجدد أن يكون عارفاً مخالطاً للناس وبظروفهم وأحوالهم، بمعنى ألا يعيش المجدد في صومعة ويصدر منها أحكاماً

16- راجع: التجديد في الفقه الإسلامي، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص ٤٦

بعيدة عن الواقع، أو يطبق أحكام عصر انقضى، وأناس مضوا على عصر آخر وأناس آخرين، مغفلاً القاعدة التي تقول:

إن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال والعُرف كما ذكر المحققون..

ويستلزم هذا اطلاع المجدد على أحوال مجتمعه، وإلمامه بالأصول العامة لثقافة عصره بحيث لا يعيش في وادٍ والمجتمع من حوله في وادٍ آخر، فهو يسأل عن أشياء وقد لا يدري شيئاً عن خلفيتها وبواعثها، وأساسها الفلسفي أو النفسي، أو الاجتماعي فيتخبط في تكييفها والحُكم عليها، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

والمجدد الحق هو الذي ينظر إلى النصوص والأدلة بعين، وينظر إلى الواقع، والعصر بعين أخرى؛ حتى يوائم بين الواجب والواقع، ويعطي لكل واقعة حكمها المناسب لمكانها، وزمانها، وحالها.

وهناك شرط آخر في المجدد وهو أن يكون عدلاً مرضيّ السيرة، يخش الله فيما يصدر عنه، ويعلم أنه في مهمته هذه مبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يتبع هواه، ولا يبيع دينه بدنياه فما بالك بدنيا غيره[١٧].

هذه هى أهم النقاط التي كان من الواجب الوقوف عليها في قضية التجديد في الفكر الإسلامي بوجهٍ عام؛ اتضح من خلالها الأساس التشريعي لمبدأ التجديد.

17- راجع: د. يوسف القرضاوي: من أجل صحوة راشدة، ص ٤٦، ٤٧، دار الشروق.

وفي الصفحات التالية عرض لأهم ملامح التجديد في الخطاب الديني

والله المستعان

******

****

**

*

تجديد الخطاب الديني .. مخاوف وآمال

نؤكد مراراً وتكراراً بأن التجديد الذي نعنيه ونكتب عنه وننشده ليس المقصود به تغيير معالم الدين، فالإسلام هو الدين الذي كتب الله عز وجل له البقاء وارتضاه للبشرية كلها من لدُن آدم إلى قيام الساعة. وتمامه وكماله صفتان لازمتان له، يقول تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا }[١٨].

فالدعوة إلى التجديد ليست موجهة إلى الإسلام الذي هو دين الله، إنما هي دعوة إلى أصحاب العقول، وبالذات الدعاة إلى مراجعة أنفسهم في مدى فهمهم لكتاب الله، واستمساكهم بشرعه، وترتيب

18- سورة المائدة، من الآية ٣.

الأولويات مما يجب عليهم فعله في كيفية الدعوة إلى الإسلام في هذا العصر.

وهذه المراجعة ضرورة ماسّة على حد تعبير الشيخ/ **محمد الغزالي** رحمه الله حين قال: "إن مراجعة تفكيرنا الديني ضرورة ماسة، ولا أعني بتاتاً رجوعاً عن أصل قائم، أو فرع ثابت، فهذا والعياذ بالله ارتداد مقبوح، هناك فرق بين الرجوع، والمراجعة"[١٩].

إنني أعني بالتجديد إعادة ترتيب عقل الداعية الذي بدوره يجدد للأمة دينها انطلاقاً من الفهم الواعي لحقيقة الإسلام الذي يستوعب الحياة كلها بأبعادها المختلفة، ويتسع لكل معطيات الحياة المعاصرة، وذلك بالتركيز على مخاطبة العقل، والاعتماد على العلم، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، والأفكار الخاطئة، على أسس موضوعية، بعيداً عن الانفعال والتشنج، وإبراز الجانب الإنساني في تعاليم الإسلام..

والتأكيد على ضرورة الارتفاع بمستوى المخاطبين بتزويدهم بالثقافة الدينية الرشيدة، والقيم الإسلامية الدافعة إلى تقدم المجتمع وحفز المواطنين على العلم والإنتاج، والإسهام الجدي في أعمال الخير التي تعود على البشرية كلها بالخير.

19- الشيخ محمد الغزالي: علل وأدوية، ص ١٨٠.

وتجديد الخطاب الديني يشمل كذلك:

تطوير أساليب الدعوة الإسلامية في الخارج، والنهوض بها بما يتلاءم مع ظروف المجتمعات الغربية، وإبراز الدور الحضاري للإسلام والمسلمين على مدى تاريخ الإسلام، ولفت الانتباه إلى ما قدمته الحضارة الإسلامية للحضارة الغربية في العصور الوسطى من عطاءٍ كان له أثره الكبير في النهضة الأوربية الحديثة، وتوظيف ذلك كله في خدمة تصحيح صورة الإسلام في الغرب..

ومواجهة ما يُنشر عن الإسلام في الإعلام الدولي من اتهامات ظالمة للإسلام والمسلمين، والتعاون في هذا الشأن مع كل الهيئات العلمية المعنية في الغرب؛ من أجل إعطاء صورة موضوعية عن الإسلام على أساس حقائقه الثابتة، وقيمه الراقية، وتعاليمه السامية التي تسع الإنسان في كل زمان ومكان.

فالتجديد للخطاب الديني بهذا المفهوم يجعل هناك مرتكزات أساسية؛ لابد أن تكون واضحة:

الأولى: أن هذا التجديد لا يتعلق بالأصول الإسلامية، فالكتاب والسنة ليسا مجالاً للتجديد ولا هما جزءاً من التراث، وينبغي أن يكون هذا واضحاً لمثقفينا؛ لأن افتراءً كبيراً قد يحدث على الكتاب والسنة تحت مسمّى التجديد، أو تحت مسمّى أن التجديد يتعلق بالتراث، وأن هذه الأصول جزء من التراث.

الثانية: إن التجديد حتى وإن تعلق بالنظم لا يتعلق بالنظم القطعية الإسلامية التي جاءت فيها النصوص القطعية الإسلامية، سواء كان

نظام الحدود، أو كان نظام المواريث، أو غيرها، لأن شرذمة من العلمانيين نظروا إليها على أنها لون من التجديد أو لون من الاقتراب من العالم الغربي، فالمساس بالنظم القطعية لا يعدّ تجديداً، وإنما هو تبديد للدين وللشريعة على السواء[٢٠].

الثالثة: في تجديدنا للخطاب الإسلامي في الغرب، لا أريد أن نقدم أنفسنا بشكل اعتذاري، إنما لابد أن نعتز بديننا، وبعقيدتنا.

20- "مرتكزات الخطاب الديني المعاصر" عنوان الكلمة التي ألقاها الأستاذ الدكتور/ محمد كمال إمام، في الندوة التي عقدت بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية لمناقشة تجديد الخطاب الديني [تجديد الخطاب الديني: لماذا وكيف؟ العدد ٨٤، "سلسلة قضايا إسلامية" القاهرة: (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م].

الخطاب الديني بين الواقع والمأمول

لقد إزدحم عالمنا المعاصر بمتغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية فرضت نفسها على الواقع المُعاش، في الوقت نفسه -وبمنتهى الصراحة- كان خطابنا الديني دون المستوى اللائق به، فالمدقق فيه يلحظ عدة أمور أهمها:

(١) هناك فهم غير صحيح لكثير من جوانب الإسلام عقيدة وشريعة وتصوراً للكون والطبيعة والأحياء. فلم تعُد القضية قضية قدره دعوية، أو خطابية، وإنما صار بعض هؤلاء الدعاة والمتحدثين عن الإسلام مُحتاجين إلى العلم الصحيح بأمور العقيدة والشريعة والتصور العام للإسلام[٢١].

إن تجديد الخطاب الديني يستلزم عقلية واعية تستوعب التصور القرآني الشامل لكافة قضايا الوجود والحياة والإنسان، عقلية تعرف مكانة الإنسان الخليفة في الأرض، الإنسان الواعي بدوره، الفاعل في الحضارة والتاريخ.

(٢) إن شريحة غير قليلة من أصحاب الكلمة المسموعة من خطباء المساجد -للأسف الشديد- ليسوا على المستوى الثقافي الذي يؤهلهم للنهوض بهذه المهمة الجليلة في عرض الإسلام وربطه بالواقع المعاصر، وبالتالي نلحظ قلة التفاعل مع قضايا العصر.

21- الخطاب الديني وصلته بالواقع المُعاش: أ.د. أحمد كمال أبو المجد، تجديد الخطاب الديني لماذا وكيف؟، ص ٣٣.

(٣) عدم فقه الدّاعية بأثر تغيّر الزمان والمكان، والأحوال، والفتاوى، وتقرير الأحكام. ونحن نقرأ في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة الموثقة أن الرجلين كانا يأتيانه بسؤال واحد فيجيب هذا بجواب، وهذا بجواب تفريداً للفتوى ومراعاة لمقتضى حال المفتي، والمستفتى، والمنطقة، والزمان.

(٤) كذلك نلحظ غفلة عند بعض الدعاة عن المقاصد والعلل، والحكمة الكبرى وراء القول، وهذا يؤدي بدوره إلى خلل في ترتيب الأولويات؛ حيث يفتقر بعض القائمين بالخطاب الديني السائد إلى ما نسميه بفقه مراتب الأعمال.

(٥) أخطر ما في الخطاب الديني السائد وأشده ضرراً هو التشديد على الناس في عصر يحتاج إلى التخفيف والتيسير فكم من شباب انصرفوا وأعرضوا عن الشريعة لأنه صور لهم أنهم حقراء في أنفسهم، عاجزون بينهم وبين الإسلام فراسخ وفراسخ، فقالوا: هذا أمر لا نقدر عليه[٢٢].

(٦) يلاحظ كذلك في خطابنا الديني المعاصر مداومة الحديث عن الماضي، والبُعد عن الحاضر، والخوف من المستقبل، والحديث عن الماضي أمر محمود، لكن إن أخذنا منه علاجاً لحاضرنا وزاداً لمستقبلنا.

22- السابق، ص ٣٧ بتصرف.

يقول الدكتور/ محمد خاتمي:

علينا في سبيل تحديد معالم عصرنا الراهن، أن نتطلع إلى المستقبل ولكي نتمكن من تصور مستقبلنا تصوراً سليماً ومقبولاً، فلن يكون أمامنا خيار آخر سوى أن نعي ماضينا، ونألفه ونأنس به[٢٣].

(٧) وأما عن الخطاب الديني المتمثل في الخطبة الدينية، فإنه ليس أحسن حالاً، لأن الصلة بين خطب اليوم وحقيقة الدين -على حد تعبير الشيخ محمد الغزالي- كالصلة بين سيف المنبر وأسلحة القتال في البر والبحر والجوّ، وهو في أشد الاحتياج إلى التجديد؛ لأنه يشهد إخفاقاً، وذلك لعدة عوامل، أهمها:

أ- أن الخطبة الدينية -غالباً- ذات موضوعات عدة من دعوة إلى فضائل شتى إلى تنفير من رذائل منوعة، فتبدو الخطبة كشكولاً جامعاً لموضوعات عدة مبتسرة مقتضبة لم يدرس واحد منها دراسة كاملة ترسخ في أذهان السامعين، وتمتلك مشاعرهم .. والخطبة الدينية الناجحة لابد وأن تكون ذات موضوعٍ واحدٍ.

ب- وهذه الموضوعات الكثيرة ذوات معانٍ واحدة مكررة، وأحياناً ذوات أسلوب واحد تكرر على مسامع الناس؛ فيملّونها، فنرى كثيراً من الخطباء يحفظون خطبهم من كتب مطبوعة متمشية

23- الإسلام والعالم: د/ محمد خاتمي، تقديم: د. محمد سليم العوّا، ص ٧٠، ط. الثالثة، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م) مكتبة الشروق.

مع أسابيع كل شهر من كل عام فلا تصرف ولا تجديد ولا مراعاة لأحوال السامعين.

ج- على أنها بموضوعاتها المتعددة، ومعانيها الموحدة متخلفة عن قافلة الزمن، مباينة للحياة الواقعية، ليست فيها جدّة، وكثيراً ما يشغل الناس حدث جلل أو طارئ، ويتشوقون إلى سماع كلمة الدين فيه، فإذا بهم يسمعون نغمات قديمة لا صلة لها بما يتوقون إلى سماعه.

د- ومن نتائج ذلك كله؛ أنها غير ملائمة لعقلية السامعين، وغير مشوقة، فأسلوبها رثّ متكلف، ومعانيها لا تشويق فيها، وإلقاؤها باعث على التثاؤب والملال..

فإذا ما أردنا النهوض بالخطة الدينية فعلينا أن نُصلح هذه العيوب؛ بأن نجعل كل خطبة موحّدة الموضوع، جديدة الأفكار والمعاني، مسايرة للحياة الواقعية، معروضة في معرض شائق، وهذا يتطلب أن يكون الخطيب عنده استعداد فطري لهذا الفن الرائع من فنون القول، يصقله بالدراسة والمران، إذ أنه يعرض عقله على الناس - على حد تعبير عبدالملك بن مروان[٢٤]- عندما قيل له: عجّل إليك الشيب يا أمير المؤمنين!، قال: وكيف لا يعجّل علي وأنا أعرض

24- عبدالملك بن مروان هو: عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد من أعاظم الخلفاء ودُهاتهم، نشأ في المدينة، شهد يوم الدار مع أبيه، واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هجرية، فضبط أمورها، وهو أول من صكّ الدنانير في الإسلام. [ابن الأثير ١٩٨/٤، والطبري ٥٦/٨].

عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين، أو قال: شيبني صعود المنابر، والخوف من اللحن.

وهذا يقتضي أن يكون الخطيب ذا صفات شخصية مميزة، واضح الصوت، عذب الحديث، واسع الأفق، رفيقاً بمن يدعوهم، وأن يكون حاصلاً على أعلى المؤهلات العلمية والدينية، وملماً بالعلوم الحديثة؛ ليتمكن من ربط الدين بالدنيا، وأن يكون مؤمناً برسالته، وأن يلتحم بالناس في المناسبات المختلفة، وألا يتعالى عليهم، وأن يندمج في المجتمعات دون التحزب لفئة ضد فئة، أو التحيز لرأي دون الآخر.

هذا وقد أحسنت وزارة الأوقاف صنعاً حين اشترطت عقد مسابقة لاختيار أفضل المتقدمين للعمل في حقل الدعوة، وهذا يتطلب -في نظري- أن تقوم جامعة الأزهر متمثلة في لجنة الخطط والمناهج بضرورة تدريس الدعوة الإسلامية أسلوبها ووسائلها وتاريخها ومناهجها، والخطابة بشقيها: النظري والعملي، لطلاب الكليات النظرية الأخرى، كاللغة العربية والشريعة والقانون وغيرها، التي يمكن لخريجيها الالتحاق بالعمل في حقل الدعوة. وقد لمست ذلك حين شرفت بالتدريس في الدورات التدريبية التي تعقدها وزارة الأوقاف للأئمة الجدد، ولاحظت مدى الحاجة لهؤلاء الخريجين لدراسة هذه المواد.

تجديد الخطاب الديني وإعداد الداعية العصري

الدعاة هم أمناء الله على شرعه، المُكلّفون بوصُول الدعوة إلى كل مكان، الحافظون لدين الله، والقائمون على حدوده، إذا فعلوا لحظتْهُمُ العيون، وإذا قالوا أصغت إليهم الآذان، وأذعنت القلوب، وحكت الألسنة..

وتجديد الخطاب الديني لا يمكن أن يتم على الصورة المرجوة إلا إذا استطعنا إعداد جماعات من الدعاة تكون بمثابة طلائع النور في أمة طال عليها الليل، وبوادر اليقظة في أمة تأخر بها النوم، وأمل العالم في عصر أجدبت فيه الدنيا من رسل الرحمة واليقين، وامتلأت بزبانية الأثرة والإلحاد.

إعداد الدعاة .. يعني إعداد الأمة:

إن إعداد الدعاة يعني: إعداد الأمة؛ لأن الأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفرٍ من الرجال الموفقين، وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض، وأثر الشعاع في المكان المتألق[٢٥].

مع مراعاة أن عبء الدعوة ثقيل، ومهمة هداية الناس عمل جليل، ومن ثم وجب أن يختار الدعاة من بين صفوف الأمة وفق معايير معينة، وأن لا يترك هذا الأمر للظروف تفرضه، مما يدفع بالعجزة والقاصرين إلى هذا المجال الحسّاس فيكون الضرر، لا النفع.

25- مع الله. دراسات في الدعوة والدعاة: الشيخ محمد الغزالي، ص ٧، ط. السادسة (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، دار الكتب الإسلامية.

يقول الدكتور/ القرضاوي:

إن المشتغلين بالتربية والتعليم يقولون بعد دراسة وخبرة ومعاناة: إن المعلم هو العمود الفقري في عملية التربية، وهو الذي ينفخ فيها الروح، ويُجري في عروقها دم الحياة، مع أنه في مجال التعليم والتربية عوامل شتى ومؤثرات أخرى كثيرة، من المنهج إلى الكتاب، إلى الإدارة، إلى الجو المدرسي، إلى التوجيه أو التفتيش، وكلها تشترك في التوجيه والتأثير بنسب متفاوتة، ولكن يظل المعلم هو العصب الحي للتعليم.

فماذا يقول المشتغلون بالدعوة والإرشاد في شأن الدعاية، ومبلغ أثره وهو العامل الفذ الذي ينفرد بالتأثير والتوجيه في عملية الدعوة؟.

إذ لا يشاركه في ذلك -عادة- منهم موضوع، ولا كتاب مقرر، ولا جو ولا إدارة ولا توجيه..

فالداعية وحده هو- في غالب الأمر- الإدارة، والتوجيه، والمنهج، والكتاب، والمعلم .. وعليه وحده يقع عبء هذا كله.

وهذا يجعل العناية بتكوين الدعاة وإعدادهم الإعداد المتكامل أمراً بالغ الأهمية ، وإلا أصيبت كل مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق في الداخل والخارج؛ لأن شرطها الأول لم يتحقق، وهو الداعية المهيأ لحمل الرسالة[٢٦].

26- راجع: ثقافة الداعية" د/ يوسف القرضاوي، ص ٤، ط. ثامنة، ١٩٨٦م، مكتبة وهبة.

وحتى يتهيأ داعية يجدد في الخطاب الديني يجب مراعاة الآتي:-

(١) أن تتوافر الرغبة في نفس المرء لحمل هذه الأمانة، وأن لا ينظر إليها على أنها عبء ثقيل يبغي التفلّت منه كلما سنحت الفرصة، يستأنس لهذا المعنى بما روي عن عكرمة قال: قال عيسى عليه السلام: **"لا تطرح اللؤلؤ إلى الخنزير، فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً، ولا تعط الحكمة لمن لا يريدها، فإن الحكمة خير من اللؤلؤ، ومن لا يريدها شرٌّ من الخنزير"**[٢٧].

(٢) أن تجتمع في نفس المرء -إلى جانب الرغبة- عدة مؤهلات بأن يكون المرء صائب النظرة، ليس عليلاً في تفكيره، أو ملكَاته النفسية، حتى لا تتحول سلبياته سهاماً توجّه إلى الدعوة، وصدق القائل:

لا تؤتين العلم إلا امـــرأ

يعين باللبّ على

نفسه[٢٨]

إن المجتمع لا يسند جليل المهام لمغفل أو أحمق، ولا يعرف لهؤلاء في المجتمع مكان، فهل من اللائق أن ينفي هؤلاء من دنيا الناس ليتصدروا في دين الله؟!.

27- جامع بيان العلم وفضله: ابن عبدالبر، ١/١٣١/ ط. الثانية، ١٩٦٨، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

28- المرجع السابق، ١/١٣١.

إن دين الله أكرم وأشرف من أن نتعامل معه بهذا الأسلوب.

(٣) أن يكون له -إلى جانب ما سبق- سيرة حسنة، وحرص على المبادرة بالعمل بما يسمع ويقرأ، وذلك حتى لا تؤثر فيه عاداته السيئة بعد انتسابه للدعوة، وانضمامه إلى صفوفها، فيصير فتنة تصدّ الناس عن طريق الله تعالى.

يقول الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: "**لا يؤخذ العلم من أربعة، ويؤخذ ممنَ سوى ذلك: لا تأخذ من سفيهٍ معلنٍ بالسفه وإن كان أروى الناس - ولا تأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس إذا جُرّب ذلك عليه وإن كان لا يتهم أن يكذب على رسول الله - ولا من صاحب هوًى يدعو الناس إلى هواه - ولا من شيخٍ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدّث**"[٢٩].

وكما أشرنا أيضاً فإن وزارة الأوقاف قد أحسنت صنعاً حين ألغت نظام التكليف في تعيين الدعاة، وقامت بعقد مسابقة يتم فيها اختيار أفضل العناصر المتقدمة؛ الأمر الذي ترتب عليه وجود نُخبة متميزة من الدعاة، تم اختيارهم للعمل في حقل الدعوة، شرفت بالتدريس لبعضهم من خلال الدورات التدريبية التي أقامتها الوزارة لتثقيف الدعاة وتبصيرهم بما يحدث على الساحة.

ولا غرابة في ذلك فإذا كانت بعض الكليات والمعاهد مثل: الشرطة والجيش والكليات الرياضية وغيرها تعقد اختبارات من خلالها يتم قبول الدارسين أو رفضهم، فمن بابٍ أولى المتقدمون للعمل في حقل

29- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: الحافظ الخطيب البغدادي ١٣٩/١، ط. ١٩٨٣م، مكتبة المعارف، الرياض.

الدعوة؛ باعتبار أن الدعاة هم لسان الأمة، وقلبها النابض، ومظهر عزتها وكرامتها في الدنيا والآخرة.

فإذا ما تم قبوله في الكليات المنوط بها تخريج الدعاة؛ فإنه من الواجب توحيد مناهجها.

والتجديد المستمر في تلك المناهج بما يناسب متغيرات العصر؛ ليدرك الدعاة أن النجاح الحقيقي للخطاب الهادف هو التفاعل مع العصر ومتغيراته وقضاياه المعاصرة؛ انطلاقاً من مهمة الداعية التي يجب أن تمتد إلى كل جوانب الحياة والتأثير فيها.

خلاصة الأمر:

إن التجديد في الخطاب الديني يستلزم إعداد داعية عصري من نواح عدة أهمها:-

الإعداد النفسي:

ويقصد به تهيئة الداعية وصقله نفسياً؛ ليكون أهلاً لتحمل مسئولية الدعوة بعزم وثبات وشجاعة وإقدام، صابراً على ما قد يناله من أذى، محتسباً ومخلصاً عمله لله.

الإعداد الخلقي والاجتماعي:

فرسالة الدعوة إلى الله عمل اتصالي بالناس، ولذلك فإن هذه المهمة تقتضي أن يتحلى الداعية بمكارم الأخلاق؛ لكي ينال محبة الناس ويتآلف مع قلوبهم.

الإعداد العلمي:

فالدعوة إلى الله من أجلّ وأشرف الأعمال وأرفعّ القرُبات، ولما كان الأمر كذلك؛ فإن هذا العمل يجب أن يُمارس وفق الضوابط الشرعية التي تحُول دون الانحراف بالدعوة عن مقاصدها السامية، وتحول دون اقتحام بعض الجهلة والعوامّ هذا المجال.

وفي هذا المجال أقترح الآتي:

١- إقامة دورات تدريبية بعد التخرج وقبل التعيين؛ لمواجهة الجماهير يحاضر فيها كبار الدعاة.

٢- إمداد الدعاة بمكتبة علمية، تضم أمهات الكتب إضافة إلى ما أنتجه المحدثون.

٣- العناية بالنواحي المادية وتوفير حياة كريمة له.

٤- تزويد الداعية بأحدث الأبحاث العلمية في المجالات المختلفة، إضافة إلى المجلات المتخصصة والصحف كذلك ليقف على آخر المستجدات.

ويبقى بعد ذلك أن نرتفع عن تملّق أنفسنا، وأن نصدق في أقوالنا، وأن نعرف أن الأمر يحتاج إلى عملٍ كثير وكلام قليل، وأمانة وشجاعة، فالأمر أمر دين وعقيدة، ومصلحة أمة.

تجديد الخطاب الديني وتوظيف آليات الإعلام

إذا كان الداعية هو العمود الفقري في تجديد الخطاب الديني، وقد تم إعداده وفق الضوابط السابقة، فإن التجديد لا يمكن أن يتم على الصورة المنشودة إلا إذا أمكننا توظيف وسائل الإعلام المختلفة، وتفعيل دورها في إعادة صياغة الأمة، وتكوين عقليتها، بما يتناسب مع معطيات الإسلام، وأهمها:-

المسجد

لم تكن عناية الإسلام الفائقة -متمثلة في قيام الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ببناء مسجده المبارك منذ اللحظة الأولى التي وطئت فيها قدمه الشريفة أرض المدينة المنورة، هذه العناية التي بلغ من شأنها في الاهتمام أن قدم المسجد على أي عمل تأسيسي آخر، لم تكن مجرد إقامة مصلى تقام فيها الجماعة والجمعة، أو مجرد متعبد للمؤمنين يلجئون إليه في تعبداتهم صلاة أو ذكراً أو تسبيحاً، لأن الإسلام في سماحته وسمو مقاصده، ويسر شرائعه، وأحكامه لا يعرف التصومع للعبادة؛ لأن الأرض كلها جُعلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته مسجداً وطهوراً.

إنما كانت هذه العناية لأهمية دور المسجد وخطورة رسالته التي لا تقتصر على إقامة الصلاة فقط، ومن ثم فإنه لن يتم تجديد الخطاب الديني إلا إذا عاد المسجد لدوره في قيادة الأمة، واستطعنا توظيفه لأداء رسالته التي يتلخص أهمها فيما يلي:

(١) المسجد مركز إشعاع ديني وثقافي وعلمي:

لقد كانت ولا تزال وستبقى الحاجة ماسة إلى ضرورة إقامة أماكن للدعوة تتناسب مع عمومها وخلودها، ولا يملك فيه أحد من الناس شيئاً، ولا يحجر على مؤمن دخوله، والتعبد فيه آناء الليل وأطراف النهار.

مكان تملكه أمة الإسلام حيثما كان أفرادها وجماعتها.. مكان تبثّ من خلاله شعائر الإسلام، وتدرس فيه أوامر الإيمان، يلتقي فيه المؤمن بربه خمس مرات في اليوم والليلة.

(٢) المسجد مدرسة تربوية ومعهد لإعداد الرجال:

المسجد في المجتمع الإسلامي مكوّن من مكوّنات الشخصية المسلمة، لا يتكامل إيمانهم إلا بالذهاب إلى المسجد، والمواظبة على حضور الجماعات؛ لأن اعتياد المساجد سمة من سمات الإيمان، كما أخبر بذلك المعلّم الأول صلى الله عليه وسلم حيث قال: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان) [٣٠].

إن إقامة المسجد يعطي المسلم فرصة الممارسة العلمية، لما تعلمه من توجيهات الإسلام، ففيه تدريب للمسلمين على الانضباط، وهو يدعم ويقوي روابط الأخوة الإسلامية، التي جعلها الإسلام إحدى ركائز المجتمع المسلم.

30- أخرجه ابن ماجة في كتاب "المساجد والجماعات" تحت رقم ٨٠٢، في ٢٦٣/١.

فالمسجد يحتم على المسلم أن يلقى أخاه خمس مرات في اليوم والليلة تجمعه مع إخوانه المسلمين القبلة الواحدة والآمال الواحدة.

(٣) المسجد مأوى الغريب وملجأ الفقير ومأوى الجريح:

لقد كان المسجد مكاناً يأوي إليه الغريب، الذي أقدمته الظروف، ويأوي إليه الفقير الذي ليس له ما يكفه، ولا ما يأوي إليه من مسكن، والمسكين الذي لا يجد ما يسد خلته.

يقول الدكتور/ مصطفى السباعي:

"والمسجد كان الثكنة الأولى في الإسلام، فقد كان صلى الله عليه وسلم يحشد أصحابه في المسجد ويحرضهم على الثبات في القتال، وتنطلق الغزوات والسرايا من المسجد، ويجتمع صلى الله عليه وسلم حين يداهمهم الخطر في المسجد، ويعود المنتصرون من الغزوات والسرايا وتُضَمَّد جروح المصابين في المسجد"[٣١].

(٤) المسجد دار للقضاء والصلح والشورى ومصدر للتوجيه:

لقد كان المسجد ساحة للقضاء، يفصل فيه بين الخصومات، ويجتمع فيه المسلمون إذا دعت الأحداث؛ لأن الشورى دعامة من دعائم هذا الدين الحنيف.

والمسجد كان مقراً لبريد الإسلام ففيه تصدر الأخبار وتصدر الرسائل، وفيه تلقى الأنباء السياسية سلماً أو حرباً، وفيه تقرأ

31- من روائع حضارتنا: ص ٤٦٦، ط. الثانية، ١٩٧٨م، دار الإرشاد، بيروت.

رسائل البشائر بالنصر، ورسائل طلب المدد، وفيه يُنْعَى المستشهدون في الإسلام.

والمسجد هو مصدر التوجيه في المجتمع في كل ميادين الحياة المختلفة.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:"إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي، فهو ساحة للعبادة، ومدرسة للعلم، وندوة للأدب، وقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هي لُبَاب الإسلام.

هذا البناء المتواضع هو الذي ربّى ملائكة البشر ومؤدبي الجبابرة، وملوك الدار الآخرة"[٣٢].

نخلص من ذلك: إلى أن المسجد لم يكن موضعاً لأداء الصلوات فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومنتدى تلتقي وتتآلف فيه العناصر القبلية المختلفة، التي طالما تنافرت بينها النزعات الجاهلية، وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشئون حيث الانطلاقات، وبرلماناً لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية ومع هذا كله كان داراً يسكن فيه عدد كبير من فقراء المسلمين.

هذة في عجالة سريعة أهم ملامح رسالة المسجد.

32- فقه السيرة، ص ١٩٢، ط. الثامنة، ١٩٨٢م، دار الكتب الإسلامية، بيروت.

وفي هذه الصورة يمكنها أن تقدم الإسلام في صورة تليق به، وتتناسب مع مكانته السامية.

لكن سؤالاً يطرح نفسه: هل يمكننا تجديد الخطاب الديني ومساجدنا المعاصرة على مستواها القائم؟!.

المسجد في المجتمعات الإسلامية المعاصرة:

هل يمكن تجديد الخطاب الديني والمساجد على حالتها المشاهدة تلك؟:

أشك في ذلك؛ لأني لا أبالغ إذا قلت: إن المجتمع المعاصر قد انحرف بالمسجد عن وظيفته الأصلية المتمثلة في توجيه المسلمين وإرشادهم وتعليمهم أمور دينهم وتربيتهم تلك التربية الجادة التي تدفع بهم إلى الحياة في قوة وإيجابية وتحفظ لهم عند الله مكان الطائعين في الآخرة.

انحرف المجتمع بالمسجد عن وظيفته تلك؛ فجعله مكاناً لأداء الصلوات، وتغلق عقب الانتهاء منها.

إن المسجد لا ينبغي أن يقتصر عمله على ذلك، إذ الأصل أن يكون المسجد في حياة المسلمين بروحه وأدبه في كل وقت من أوقات النهار؛ ليُسهم في تربية المسلمين وتوجيههم، وإعدادهم لتحمل أعباء الدعوة إلى الله بنشر دينه بين عباده، ويبلغ دعوته في العالمين.

ولست أدري تعليلاً لإغلاق المساجد معظم النهار وطوال الليل، إلا أن يكون المسلمون قد تأثروا في ذلك بما يفعله النصارى في كنائسهم، فقد كانت الكنائس أماكن عبادة صمّاء، وتراتيل خاوية جوفاء، لا تُمارس فيها تربية ولا توجيه، وهي بذلك الهدف وعلى ضوء هذه الوظيفة لا تجد مبرراً لأن تفتح أبوابها إلا في ساعة من نهار من يوم من أسبوع، أو في مناسبة من المناسبات الدينية.

ومن عجب أن أخذت الغالبية العظمى من الكنائس من المسجد أسلوبه في جميع الناس وتوجيههم وإرشادهم وإعدادهم، ففتحت أبوابها للناس ساعات طويلة من النهار والليل، وبذلك دخلت في حياة الناس، في حين تخلّى المسلمون عن هذا الأسلوب بالنسبة للمسجد، فلم يعد المسجد كما كان عليه الحال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منارة علم، ومكان توجيه وتربية وإعداد.

إن إغلاق المسجد في غير أوقات الصلاة لا يتلاءم مع قول الله سبحانه وتعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ }[٣٣].

33- سورة النور: الآيات ٣٦ ـ ٣٨.

وكيف يستقيم إغلاق المساجد والرسول صلى الله عليه وسلم يرَغِّبُ المسلمين في صلاة الضحى في المسجد، ويحبّب لهم البقاء فيه من صلاة مفروضة إلى صلاة مفروضة تليها،

فعن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من خرج من بيته متطهراً إلى صلاةٍ مكتوبةٍ فأجره كأجر الحاجّ المُحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضُّحَى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة -لا لغو بينهما- كتاب في عليِّين)[٣٤].

أليسّ إغلاق بيوت الله في وجه عمّارها – افتيات على حق بيوت الله، وافتيات على حقّ المسلمين الذين يرغبون في ارتياد المساجد في سائر أوقات النهار .. لصالح من يعطّل المسجد عن أداء رسالته؟؟!!.

لا شك أن أعداء الإسلام هم المستفيدون من تعطيل المساجد عن أداء دورها؛ لأنهم لا يخافون شيئاً كما يخافون المسجد، وأثره في تربية المسلمين وتوجيههم؛ لذلك يهتمون اهتماماً كبيراً بحربه أو تعطيل عمله الحقيقي، أو صرف المسلمين عنه.

34- أخرجه أبو داود في سننه في كتاب "الصلاة" باب ما جاء في المشي إلى الصلاة تحت رقم ٥٥٨، في ٣٧٧/١، ٣٧٨، وذكره صاحب الكنز تحت رقم ١٨٩٦١ في ٢٩٧/٧ ، وقال المنذري: القاسم أبو عبدالرحمن راوي الحديث فيه مقال [عون العبود ٢/ ٢٦٥].

وقد كتبت مجلة الشرق المسيحي والتبشير الإسلامي -وهي مجلة ألمانية تعد لسان حال جمعية إرساليات التبشير الألمانية، مقالا بمناسبة تعيين الدكتور/ ريتشارد رئيساً لهذه الجمعية، جاء فيه:

إن أهمية أعمال التبشير بين المسلمين تزداد يوماً بعد يوم، وتستغرق أكثر مجهودات ووسائل المبشرين الألمانيين حتى إن الجمعية اضطرت عقب تأسيس المدرسة التبشيرية لدرس الإسلام وأصوله ومبادئه في "يوتسدام" أن تترك الحرية التامة لرئيسها ريثما يتخصص التبشير بين المسلمين، وقد فتحت هذه المدرسة سنة ١٩٠٩، والقصد منها تربية المبشرين وإطلاعهم على الأمور الإسلامية والمؤلفات الدينية؛ لأنه برغم اطلاع المستشرقين وطول باعهم في المؤلفات الإسلامية فإن التعليم والعقائد التي تلقى في المساجد والمعاهد الإسلامية لم تزل خافية علينا[٣٥].

وإن مسجداً واحداً من مساجد العالم الإسلامي هو الأزهر الشريف ليلقى من حرب المبشرين والمستشرقين والمستعمرين والصهيونيين ما لا قبل لمسجد به، إذ هي حرب سافرة حيناً، ومضمرة خبيثة أحياناً.

ولا أنسى يوم أن كنت طالباً في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، وكان مقر الكلية آنذاك هو الجامع الأزهر، وقتها حدثت ضجة كبرى في بعض البلدان الأوربية -حسبما أخبرنا عميد[٣٦] الكلية آنذاك-

---

35- أ.ل. شاتلية: الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة: محب الدين الخطيب، ص ٨٩.

36- هو: الأستاذ الدكتور/ متولي يوسف الشهير برؤوف شلبي، والذي تولى وكالة الأزهر بعد ذلك.

وانتقل السفير الأمريكي بالقاهرة إلى الجامع الأزهر.. وسأل عميد الكلية: لماذا اتخذتم من الجامع الأزهر مقراً للكلية؟ أهو عجز عن وجود مقر آخر، إن كان كذلك فالسفارة الأمريكية على استعداد للمساعدة في إقامة مقر للكلية.

فكان جواب عميد الكلية: إن كلية الدعوة الإسلامية لها ميزانية في الجامعة، تكفي لإقامة مقر جديد، لكن الهدف هو إعادة الحياة إلى الجامع الأزهر، فبدل أن تقتصر رسالته على أن تخرج منه نعوش الموتى وفقط، تخرج منه بوادر اليقظة تحمل رسالة الحق والعدل للعالمين[٣٧].

إن سؤال السفير الأمريكي يدلّ على مدى قلق الغرب من عودة المسجد لأداء رسالته.

إن تجديد الخطاب الديني يتطلّب عودة دُور المسجد لأداء مهمته في المجتمع؛ ليصنع المسلم المتكامل البناء في خلقه، وسلوكه، وعمله وعبادته .. المتكامل في علاقته بربه، وبنفسه، وبإخوانه المسلمين.

إن المسجد كما قال غوستاف لوبون:

مركز الحياة الحقيقي عند العرب يتخذونه محلاً للاجتماع والعبادة والتعليم، والسكن عند الاقتضاء لا لعبادة الله فقط كبيَع النصَارَى[٣٨].

37- شاهدت الزيارة، وأخبرتُنا بما دار من حوار السفير مع عميد الكلية من فضيلة العميد في محاضرة له عقب الزيارة.

38- حضارة العرب: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، ص ٤٢٥، ب ت، طبعة عيسى البابي الحلبي.

وعودة المسجد إلى وظيفته تتطلب -في نظري- تدخلاً من الأمة كلها وعلى رأسها ولاة الأمر؛ فهم مسؤولون مسئولية كاملة عن بيوت الله وما يلزمها لأداء رسالتها، وليس معنى ذلك الاهتمام بالمباني والترميمات والإنفاق على العاملين فيها فقط، وإنما تتضمن المسئولية بجوار ما تقدم .. أن تتاح للدعاة إلى الله الحرية الكاملة في القول، ودعوة الناس إليها ما يمكنهم دائماً من القيام بعملهم دون خوف من ظلم حاكم ودون رقيب عليهم إلا من ضمائرهم وأخلاقهم الإسلامية وهذا يتطلب:

(١) **قصر أداء شعائر صلاة الجمعة** على المسجد الجامع فقط، لضمان أقصى قدر من الكفاءة لهذه الشعيرة.

(٢) **تزويد كل إمام مسجد جامع بجهاز فني من الباحثين** لمعاونته في إعداد الخطب والدروس في الموضوعات المختلفة مع ضرورة منع غير المؤهلين من الخطابة وإلقاء الدروس الدينية.

(٣) **يجب تخصيص مكتبة للإمام في كل مسجد** مع تزويدها بالمراجع والإصدارات المعاصرة

***

وسائل الإعلام الأخرى كالإذاعة والتليفزيون وغيرها:

إذا كان المسجد له دوره البارز في الإعداد والتوجيه فإن وسائل الإعلام الأخرى كالإذاعة والتليفزيون والصحافة وشبكة المعلومات

الدولية "الإنترنت" وغيرها لا تقل أثراً عن المسجد لو أحسن استخدامها وأمكننا توظيفها.

فالدراسات النفسية تشير إلى أن الطفل تتشكل لديه خمسين بالمائة من شخصيته قبل سن ستة سنوات؛ ومن هنا يأتي دور المؤسسات الثقافية التي تُسهم في بناء عقل الطفل ووجدانه، وتأتي بعد ذلك وسائل الإعلام لتضطلع بهذا الدور وأهمها الإذاعة والتليفزيون وغيرها.

فإذا ما نظرنا إلى الخطاب الديني في وسائل الإعلام وخاصة في القنوات التليفزيونية لوجدنا أن البرامج الدينية تعاني معاناة شديدة من مشكلات عدة أهمها:

(١) نقص عدد ساعات الإرسال الإجمالية.

(٢) أنها لا تتمتع بنفس الإمكانيات المتاحة للبرامج الأخرى ونعني الإمكانيات المادية.

(٣) أنها تبث في فترات ميتة، ولا تبث في فترات الذروة من الإقبال على المشاهدة؛ وبالتالي فنسبة مشاهدتها ضعيفة، وضئيلة.

(٤) أنها تعاني من التكرار الشديد الممل في الوجوه والأداء والأشخاص، على جميع القنوات؛ مما أصاب الجمهور بالملل فهو في حاجة إلى التغيير والتجديد[٣٩]. فإذا كانت الأندية الرياضية

39- الدور الإعلامي في طرح قضايا الخطاب الديني، أ. السيد عبدالرءوف، تجديد الخطاب الديني، ٩٣، ٩٤.

تكتشف نجوماً جدداً كل عاما، فلماذا لا نكتشف من بين الأئمة والدعاة أساتذة جدداً تفتح لهم الأبواب وتتاح لهم الفرص؟.

ويبقى أن الناس يتلقون حول ما يجذب قلوبهم ومشاعرهم، فلماذا لا نفتح قنواتنا وفضائياتنا للآراء المتعددة داخل إطار المصلحة العامة للدين والمجتمع والسياسة العامة التي نحن جزء منها، ولنا دور فيها؟.

لماذا لا تفتح الأبواب في التليفزيون والإذاعة لكل الآراء؟، ويبقى أن الرأي الصحيح والصادق الذي يعبر عن مصالح الأمة هو الذي يجتذب الجماهير.

أيضاً: توصيل المعلومة الدينية أو الفكرة الدينية ليس فقط من خلال البرامج الدينية المباشرة، ولكن من خلال الرؤية الإسلامية الأعم التي تتجاوز الحلال والحرام وتصل إلى بناء الأمة وبناء الدولة والنهوض بها.

هذه برامج يجب أن يكون لها مساحة كبيرة في وسائل الإعلام المختلفة، ولابد أن يكون الرأي الإسلامي موجوداً في البرامج السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها؛ لأن الإسلام له تصوره وعطاؤه في هذه القضايا وهو الذي أحسن في تنظيم هذه المسائل.

ومن قبيل التخلية قبل التحلية:

فإنه من الواجب على القائمين على وسائل الإعلام تجنب عرض المواد المنافية للدين والأخلاق. وتحصين الأمة بالثقافة الإسلامية، وكشف المؤامرات الخبيثة التي تقوم بها وسائل الإعلام المختلفة للقضاء على الهوية الإسلامية.

وبعملية استقراء واقعية لإعلامنا سنجد أن الإعلام الأمريكي قد سيطر وأثر على كثير من وسائل إعلامنا المختلفة، وبالذات على التليفزيون الذي يلهث دائماً وراء البرامج والأفلام والمسلسلات الأمريكية التي لا يكتفى ببثها ليل نهار حتى اقتحمت المفاهيم والقيم الأمريكية منازلنا وعقولنا[٤٠].

ناهيك عن ذلك السيل الجارف من تلك الإعلانات والدعايات الخليعة، والفاضحة، وكذلك الأغاني الشبابية الهابطة، والتي تؤدى بصحبة فتيات ساقطات تجردن من الفضيلة، والحياء.

إن الخطر في وسائل إعلامنا يأتي من جهتين:

40- إن مسلسلاً أمريكياً، وليكن على سبيل المثال مسلسل "دالاس" أو "فالكون كريست" وغيرهما من المسلسلات التي عرضت وتعرض على شاشتنا الصغيرة كفيلة بهدم القيم الإسلامية، وإبهار المشاهد المصري بكل ما هو أمريكي، والعجيب في الأمر: أن دولاً كبرى كالصين واليابان قامت برفض عرض مسلسل "دالاس" على شاشات تلفزيوناتها. وفي بريطانيا منظمة علمية تحمل اسم "مجلس الإرشاد الأسرى" أعلنت بعد دراسات عديدة: أن مسلسل دالاس كفيل بإفساد القيم الأسريه والاجتماعية لدى المجتمع البريطاني المحافظ، وأن العائلة التي تحمل هذا الاسم تُظهر قيماً وسلوكيات ضارة [أمريكا والإسلام النفعي: محمد إبراهيم مبروك، ص ١٣٤، ١٣٥، ط. دار الطباعة والنشر الإسلامية، مدينة العاشر من رمضان].

ورحم الله مالك بن نبي الذي كان يقول: "إن التخلف الذي يعاني منه العالم الإسلامي ليس سببه تمسك المسلمين بالإسلام، وإنما هو عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين"[1].

وسوء فهم الإسلام في الغرب -بصفة عامة- يرجع أساساً إلى التشويه المتعمد للإسلام منذ قرون طويلة. فالحملات الضارية ضد الإسلام اليوم ليست وليدة ظروف جديدة طارئة -على خلاف ما يزعمون- وإنما هي نتيجة ترسبات قديمة ترسخت في العقلية الغربية منذ الحروب الصليبية، بل حتى قبل الحروب الصليبية حينما فتح المسلمون الأندلس، وحينما فتح العثمانيون -فيما بعد- القسطنطينية وحاصروا العاصمة النمساوية "فيينا".

وقد شهدت العصور الوسطى في أوربا الكثير من الافتراءات ضد الإسلام والمسلمين، وراح اللاهوتيون النصارى في ذلك الوقت المبكر ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه.

نماذج من تلك الافتراءات:

إذا أردنا أن نقدم نماذج من تلك الافتراءات فإن المرء يحارُ في اختيار بعضها، وما ذلك إلا لكثرتها -للأسف الشديد- افتراءات على الحق والأمانة والتاريخ.. ومن ذلك ما كتبه رجل يسمى "هولباخ

1- هموم الأمة الإسلامية: أ.د/ محمود حمدي زقزوق، ص ١٩٩، سلسلة مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م.

تجديد الخطاب الإسلامي في الغرب

بـــــداية:

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية برزت إلى الوجود ظاهرة إسلامية جديدة في العالم الغربي، لم تجد حتى الآن ما تستحقه من اهتمام ورعاية من جانب الهيئات الإسلامية وإن كان العالم الغربي يرصدها بكل دقة.

وتتمثل هذه الظاهرة في اتساع رقعة المد الإسلامي في طول البلاد الغربية وعرضها، فقد ازدادت أعداد المسلمين في أوربا وأمريكا في العقود المنصرمة زيادة ملحوظة، لم تعد تقدّر بمئات الآلاف، بل تقدّر بالملايين العديدة، وارتفعت المآذن في كثير من البقاع في القارتين الأوربية والأمريكية واضطر عدد من بلدان العالم الغربي إلى الاعتراف بالواقع الجديد، وذلك بالاعتراف القانوني بالإسلام بما يترتب على ذلك من آثار تتيح للمسلمين إنشاء المدارس والجمعيات الخيرية والمؤسسات الإسلامية المختلفة.

صحيح أن معظم المسلمين في بلاد الغرب الآن هم من أبناء البلاد الإسلامية الذين هاجروا إلى هناك بعد الحرب العالمية الثانية واستقر بهم المقام في بلاد المهجر، وذلك بالإضافة إلى من اعتنق الإسلام من أبناء البلاد الأصليين الذين يتزايد عددهم أيضاً والحمد لله.

ومع أننا كمسلمين نغتبط لهذا المدّ الإسلامي المبارك إلا أننا في الوقت نفسه ننبه إلى خطر مستقبلي يتمثل في القلق على مستقبل الأجيال القادمة من أبناء المسلمين في بلاد الغرب، فقد كان الجيل

الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء والإدمان على معاقرة الخمور وارتكاب جميع القبائح، وما قبر محمد صلى الله عليه وسلم إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول الذهني وتكرار لفظة "الله" إلا ما لا نهاية"[1].

بل إن المستشرق الفرنسي "إميل درمنجم" ليعترف في كتابه "حياة محمد" بمدى التحامل الذي سيطر على المستشرقين إخوانه وهم يكتبون عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، فيقول:-

"لما نشبت الحرب بين الإسلام والمسيحية اتسعت هوّة الخلاف، وسوء الفهم بطبيعة الحال، وازدادت حدة، ويجب أن يعترف الإنسان بأن الغربيين كانوا السابقين إلى أشد الخلاف، فمن البيزنطيين من أوقروا الإسلام احتقاراً من غير أن يكلّفوا أنفسهم مؤونة دراسته، ولم يحارب الكتّاب والنظامون مسلمي الأندلس إلا بأسخف المثالب، ففقد زعموا أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- لص نياق، وزعموه متهالكاً على اللهو، وزعموه ساحراً، رئيس عصابة من قطاع الطرق، بل زعموه قساً رومانياً مغيظاً، إن لم ينتخب لكرسي البابوية، وحسبه بعضهم إلهاً زائفاً يقرب له عباده الضحايا البشرية. وإن "جيرونوجن" نفسه يذكر أن محمداً مات في نوبة

1- قوى الشر المتحالفة وموقفها من الإسلام والمسلمين: د. محمد الدهاط، ص ٥٠، ط. دار الوفاء، المنصورة.

سوء فهم الإسلام في الغرب وأسبابه

يتعرض الإسلام اليوم لأبشع الحملات الإعلامية وموجات الكراهية خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، هذه الحملات المأجورة استغلت ضعف المسلمين في العالم الإسلامي وتخلفهم، وأرجعت ذلك التخلف إلى الإسلام ذاته.

وفي المقابل أرجعت تقدم المجتمعات المسيحية إلى المسيحية ذاتها، في حين أن الإسلام -كدين- لا صلة له بتخلف المسلمين، كما أن المسيحية -كدين- لا صلة لها بتقدم المجتمعات الغربية.

ورحم الله مالك بن نبي الذي كان يقول: "إن التخلف الذي يعاني منه العالم الإسلامي ليس سببه تمسك المسلمين بالإسلام، وإنما هو عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين"[٤١].

وسوء فهم الإسلام في الغرب -بصفة عامة- يرجع أساساً إلى التشويه المتعمد للإسلام منذ قرون طويلة. فالحملات الضارية ضد الإسلام اليوم ليست وليدة ظروف جديدة طارئة -على خلاف ما يزعمون- وإنما هي نتيجة ترسبات قديمة ترسخت في العقلية الغربية منذ الحروب الصليبية، بل حتى قبل الحروب الصليبية حينما

41- هموم الأمة الإسلامية: أ.د/ محمود حمدي زقزوق، ص ١٩٩، سلسلة مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م.

فتح المسلمون الأندلس، وحينما فتح العثمانيون -فيما بعد- القسطنطينية وحاصروا العاصمة النمساوية "فيينا".

وقد شهدت العصور الوسطى في أوربا الكثير من الافتراءات ضد الإسلام والمسلمين، وراح اللاهوتيون النصارى في ذلك الوقت المبكر ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه.

نماذج من تلك الافتراءات

إذا أردنا أن نقدم نماذج من تلك الافتراءات فإن المرء يحارُ في اختيار بعضها، وما ذلك إلا لكثرتها -للأسف الشديد- افتراءات على الحق والأمانة والتاريخ.. ومن ذلك ما كتبه رجل يسمى "هولباخ Holbach" في كتاب له عنوانه: "الأخلاق العالمية" ونشر عام ١٧٧٦م كتب يقول:

"لقد ظهر مُحتال في بلاد العرب وارتجل الأكاذيب باسم السماء، واستطاع أن يفرضها على جزء من مواطنيه، وسُرعان ما أصبحت هذه الأكاذيب مقدسة، وانتشرت بالسلاح في آسيا وأفريقيا وأوربا، ويسمحون لمتعصبين طموحين، أن يغزوا كل الأرض، ويروونها بالدماء. إن شريعة محمد أقيمت بالسلاح، وهي تطيح بالعروش؛ لتقيم الطغيان الإسلامي على أنقاضها"[٤٢].

42- الدعوة والدعاة في العصر الحديث: أ.د/ محمد إبراهيم الجيوشي، ص ١٦٨، ١٦٩، (ب.ت)، مطبعة الحسين الإسلامية، نقلاً عن: محاصرة وإبادة، د. زينب عبدالعزيز، ص ٣٠.

هذا لون من الكذب الفاضح، لم يستح كاتبه أن يسجل هذا الهُراء، ولم يشعر بالخجل حين سود الصحائف بهذه الأكاذيب التي يضحك منها أدنى الناس إدراكاً حين يطالع سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو يقرأ القرآن الكريم.

ويبدو أن رجال الغرب أرادوا أن يسابق بعضهم بعضاً بانتحال الأكاذيب وإلصاق السوءات إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم والدين الإسلامي.

فقد كتب المستشرق الفرنسي "كيمون" في شأن الإسلام ونبيه:

"إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض مريع وشلل عام، وجنون ذهولي، يبْعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء والإدمان على معاقرة الخمور وارتكاب جميع القبائح، وما قبر محمد صلى الله عليه وسلم إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول الذهني وتكرار لفظة "الله" إلا ما لا نهاية"[٤٣].

بل إن المستشرق الفرنسي "إميل درمنجم" ليعترف في كتابه "حياة محمد" بمدى التحامل الذي سيطر على المستشرقين إخوانه وهم يكتبون عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، فيقول:-

---

43- قوى الشر المتحالفة وموقفها من الإسلام والمسلمين: د. محمد الدهاط، ص ٥٠، ط. دار الوفاء، المنصورة.

"لما نشبت الحرب بين الإسلام والمسيحية اتسعت هوّة الخلاف، وسوء الفهم بطبيعة الحال، وازدادت حدة، ويجب أن يعترف الإنسان بأن الغربيين كانوا السابقين إلى أشد الخلاف، فمن البيزنطيين من أوقروا الإسلام احتقاراً من غير أن يكلّفوا أنفسهم مؤونة دراسته، ولم يحارب الكتّاب والنظامون مسلمي الأندلس إلا بأسخف المثالب، ففقد زعموا أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- لص نياق، وزعموه متهالكاً على اللهو، وزعموه ساحراً، رئيس عصابة من قطاع الطرق، بل زعموه قساً رومانياً مغيظاً، إن لم ينتخب لكرسي البابوية، وحسبه بعضهم إلهاً زائفاً يقرب له عباده الضحايا البشرية. وإن "جيرونوجن" نفسه يذكر أن محمداً مات في نوبة سكر بين، وأن جسده وجد ملقى على كوم من الروث وقد أكلت منه الخنازير وذلك ليفسر السبب الذي من أجله حرّم لحم الخنزير"[٤٤].

ويستطرد "إميل درمنجم" حديثه في بيان ما يكنّه كتاب الغرب من حقد وكره للإسلام ونبيه قائلاً:

"وقد ظلت حياة الأحقاد والخرافات قوية متشبثة بالحياة، فمنذ "رودلف جلوهيم" إلى وقتنا الحاضر قام "نيكولا دكيز وفيفنس ومراتش، وبيليا فدر" .. وغيرهم فوصفوا محمداً صلى الله عليه وسلم أنه دجال، والإسلام بأنه مجموعة الهرطقات كلها، وأنه من

44- د. محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص ٣٠، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م، نقلاً عن: حياة محمد، درمنجم، ص ١٣٥ وما بعدها.

عمل الشيطان، والمسلمون بأنهم وحوش، والقرآن بأنه نسيج من السخافات..

وقد وصف "توسان الثامن" محمداً -صلى الله عليه وسلم- بأنه عدو المسيح، وما يزال للإسلام حتى اليوم محاربون متحمسون"[٤٥].

يعلق الدكتور/ هيكل على هذا النص قائلاً: أرأيت الحضيض الذي هوت إليه هذه الطوائف الضالة من كتاب الغرب، أرأيت إصرارهم على توالي القرون على الضلال، وعلى إثارة العداوة والبغضاء بين أبناء الإنسانية، إن الغرب لم يألُ جهداً في النيلِ من الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، ولا أدلّ على ذلك من إرساله المبشرين في أنحاء البلاد الإسلامية يحاولون صرف المسلمين عن دينهم إلى المسيحية[٤٦].

هذا هو موقف الغرب من الإسلام اعتمد السواد الأعظم من الغربيين على ما كتبه المستشرقون عن الإسلام وترسخ في العقلية الغربية أن الإسلام دين عدواني متعصب، شهواني، تواكلي .. الخ وما تزال حتى يومنا هذا تدرس للأطفال في المدارس الغربية معلومات خاطئة عن الإسلام والمسلمين.

45- السابق ص ٣٠، ٣١، نقلاً عن نفس المرجع.
46- حياة محمد: د. محمد حسين هيكل، ص ٣١.

ومن هنا لا نتعجب إذا وجدنا الحملات الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين في الغرب تنشط بين الحين والحين، فهي حملات تعبر عن مدى سوء فهم الغربيين للإسلام، ومدى تأصل ما ورثوه في هذا الصدد من أوهام ترسخت في أذهانهم.

لذا كان عداؤهم للإسلام أكثر من عدائهم لكل الأديان الأخرى، كالهندوكية أو البوذية مثلاً، فهذه الأديان البشرية تعامل في الغرب معاملة منصفة، والإسلام وحده من بين كل الديانات في العالم هو الذي يهاجم ويساء إليه، وهو وحده الذي يرمى بكل النقائص، وما ذلك إلا لأن هذه الديانات لم تدخل معهم في تجارب السيادة على العالم، فقد ظلت أمة الإسلام هي الأمة الأولى في العالم فترة طويلة من الزمن، وهم من أجل ذلك يخشون من الصحوة الإسلامية ويرونها الطريق الذي تسترد به الأمة مجدها.

تقييم الخطاب الإسلامي في الغرب

إذا كان المستشرقون قد طعنوا في الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، فإن الصهيونية العالمية متمثلة في وسائل الإعلام الغربية تقوم بالدور الأكبر في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، فنحن نعلم أن اليهود يسيطرون في أمريكا وخارجها على أغلب الصحف العالمية، ودور النشر والتوزيع، فاليهود يملكون في أمريكا ٢٢٤ صحيفة وخمس وكالات أنباء، كما أن محطات الإذاعة والتليفزيون واستديوهات السينما الأمريكية كلها خاضعة للنفوذ الصهيوني، وتعمل بوحي من زعماء الصهيونية ونفوذ تل أبيب[٤٧].

والسؤال الآن:

هل لنا من استراتيجية واضحة نعمل من خلالها على تصحيح صورة الإسلام في الغرب؟!.

للأسف الشديد: لا .. وخطابنا الموجه للغرب دون المستوى، والسبب في ذلك كما يقول الدكتور/ أحمد كمال أبوالمجد -وزير الإعلام الأسبق، ونائب رئيس المجلس الأعلى لحقوق الإنسان يرجع لعدة أسباب أهمها:

47- وأخيراً قام المليونير اليهودي "روبرت مردوخ" بشراء شركة "هاتشفيجين" لشبكات الأقمار الصناعية في آسيا، والتي تقوم بتشغيل نظام استار التليفزيوني عبر الأقمار الصناعية، والذي يعد الأوسع مجالاً في العالم حيث يغطي ٣٨ بلداً آسيوياً تمتد من دول الخليج حتى أندونسيا، فضلاً عن امتلاكه لعشرة صحف من أوسع الصحف انتشاراً في أمريكا، [جريدة الأهرام في ٢٠٠١/١١/٥/٩م).

(١) التقصير الجسيم جداً ـ وطلب وضع عدة خطوط حمراء تحت كلمة جداً ـ في مخاطبة الآخر، ذلك أن الرؤية التي كانت سائدة ولا تزال في كثير من الدوائر الإسلامية رؤية محلية جانبية، أي أنها لا تشتغل بمخاطبة الذات عبر التوجه للآخرين.

ويرى سيادته أن هذا مُخالف لروح الإسلام وتوجهه الأساسي، ومخالف لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الذي وجهه بخطابه في بواكير دعوته إلى ملوك الأرض في عهده وإلى شعوبهم.

(٢) إن مؤسساتنا الدينية وعلى رأسها الأزهر لم تعن عناية كافية بتعليم اللغات ودراسة الحضارات دراسة موضوعية تحيط بالتفاصيل الدقيقة، تصل لأن تعرف الآخرين كأنها منهم. فكانت النتيجة أن الخطاب الديني والثقافي الذي يستخدم في الداخل صار يستخدم في الخارج فصار لا يؤتي أكلاً على الإطلاق[٤٨].

(٣) إننا ـ وهذا ما نسيناه وقصرنا في التعامل معه تقصيراً طويلاً ـ لسنا وحدنا في الساحة، وأن هناك قوًى سياسية تعرفنا حق المعرفة، حريصة كل الحرص على تشويه صورتنا وصورة حضارتنا وشريعتنا وعقيدتنا، فخلق ذلك حالة من النفور الشديد لنا لدى شعوب كثيرة ليس بيننا وبينها خصومة.

فكانت النتيجة أن غسلت الأدمغة والقلوب في كثير من البلاد، ولدى الحكام والمحكومين على السواء، ورسمت للعربي والمسلم أجهزة الإعلام

48- راجع: مجلة الأزهر، عدد ذي الحجة، ١٤٢٢هـ، ص ٢١٠٠.

والأفلام السينمائية، وهما مصدران للتأثير على العقول يتجاوز آثارهما كل ما يقوله العلماء، واستقرت للعربي والمسلم لدى كثير من حسني النية في الغرب إحدى صور ثلاثة:

الأولى: صورة الشخص المتخلف الذي ليس بينه وبين الحضارة المعاصرة وآدابها وطرق المعايشة السائدة في الدول المتقدمة أية علاقة.

الثانية: صورة الغني المسرف في الغنى، إلى درجات الترف المضل، الذي يُسقط كل القيم.

الثالثة: صورة المتوحش الذي يشرب بسيفه عن يمين وعن شمال والذي يجسد صور العنف والإرهاب ومعاداة الدنيا كلها، فضلاً عن تصوير المجتمعات العربية والإسلامية بأنها مجتمعات تمارس وأداً سياسياً واجتماعياً للمرأة، كما تمارس اعتداء لا حدود له على حقوق وحريات الأقليات الدينية والعرقية والسياسية[٤٩].

* * *

49- المرجع السابق، ص ٢١٠٠.

أهم الركائز لنجاح الخطاب الإسلامي في الغرب

إن نجاح الخطاب الإسلامي في الغرب يعتمد على عدة ركائز:

أولها: يتعلق بالعالم الإسلامي.

وثانيها: يتعلق بالمسلمين الذين يعيشون في الغرب.

وثالثها: يتعلق بالموقف الغربي نفسه.

وهذه الركائز أو الأبعاد الثلاثة غير منفصلة عن بعضها، بل هي متداخلة ومتشابكة؛ لأن كل واحد منها له تأثير متبادل مع الآخر.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: ما يتعلق بالعالم الإسلامي:

هناك حقيقة ثابتة مفادها "أن مستقبل الإسلام في الغرب يتوقف بالدرجة الأولى على مستقبل الإسلام في العالم الإسلامي، فالمسلمون أمة واحدة، كما أراد الله: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[٥٠].

ومن هنا فإن عزة الإسلام وقوة المسلمين في العالم الإسلامي، وازدياد تأثيرهم في السياسة العالمية من شأنه أن يدعم الأقليات الإسلامية في الغرب، ويرفع من معنوياتها، ويزيدها التصاقاً بدينها وتراثها وحضارتها.

50- سورة الأنبياء، من الآية ٩٢.

ومن هنا تأتي ضرورة استمرار ربط الجسور مع المسلمين في الغرب ومعاونتهم في تصحيح صورة الإسلام في أذهان الغربيين بكل الوسائل العلمية والعملية التي تعرض الإسلام عرضاً سليماً يصحح المفاهيم المغلوطة، ويزيل الشبهات ويبدد الأوهام، ويقضي على الأباطيل المنتشرة بين الغربيين سواء في وسائل الإعلام أو في بحوث المستشرقين، أو في المناهج الدراسية.

وفي هذا الصدد نقترح الوسائل الآتية:

(١) إصدار دائرة معارف إسلامية باللغات الأجنبية تعرض الإسلام عرضاً علمياً، وبطريقة موضوعية تنأى عن الخلافات المذهبية الضيقة، وترد في الوقت نفسه على المزاعم التي تثار ضد الإسلام وتحل هذه الموسوعة بالنسبة للمسلمين في الغرب محل دائرة المعارف الإسلامية التي أخرجها المستشرقون، كما تكون هذه الموسوعة أيضاً بجوار موسوعة المستشرقين بالنسبة لغير المسلمين ممن يريدون أن يتعرفوا على وجهات النظر الإسلامية من مصادرها الأصلية.

(٢) إنشاء عدة مواقع على شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت" تكون مركزاً للمعلومات وتفنيد الشبهات والأباطيل والإنفاق على هذه المواقع بسخاء يكافئ شدة الحاجة إليها كمصدر من مصادر التوجيه المؤثر والكاشف لحقائق الإسلام في سماحته ويسره وعدله بين الناس جميعاً.

(٣) إنشاء قناة فضائية إسلامية قوية على أعلى مستوى من التكنولوجيا ناطقة باللغات الأجنبية، يتولى أمورها علماء أفاضل يتقنون اللغات الأجنبية، قادرون على توصيل المفاهيم الصحيحة للدين.

(٤) إصدار ترجمة معتمدة لمعاني القرآن الكريم بعدد من اللغات الأجنبية لخدمة المسلمين في الغرب وخدمة الراغبين في الاطلاع على الإسلام من غير المسلمين.

(٥) إصدار سلسلة من الكتيبات باللغات الأجنبية تعالج العديد من القضايا المثارة على الساحة الفكرية والدينية من منظور إسلامي تعرف الغربيين بما قدمته حضارة الإسلام من معارف وعلوم، وإنجازات رائعة كانت فاتحة خير على البشرية جمعاء.

(٦) وأخيراً: فإن التزام الدول الإسلامية بمبادئ الإسلام الحقيقية قولاً وعملاً من حيث احترام حقوق الإنسان وكرامته، وآدميته، من شأنه أن يُحسّن صورة الإسلام في العالم، ويبطل مزاعم الغرب ضد الإسلام.

ثانياً: ما يتعلق بالمسلمين في الغرب:

أما الركيزة الثانية لإنجاح الخطاب الإسلامي في الغرب، فإنها تتصل بالمسلمين الذين يعيشون في الغرب، فإن عليهم مسئولية ضخمة في هذا الصدد يتلخص أهمها فيما يلي:

(١) على المسلمين في الغرب أن يقدموا للآخرين صورة مشرقة عن الإسلام وذلك بتقديم النموذج الإسلامي الحي المجسد لتعاليم الإسلام عملاً لا قولاً فقط، وجوهراً لا شكلاً فحسب.

ويتمثل ذلك في السلوك الإسلامي الملموس الذي يجذب ولا ينفر، فهذا السلوك على المستوى الفردي والجماعي له أثره البالغ لا في تعديل صورة الإسلام عند الغرب، فحسب، بل لجذب الغربيين للإسلام أيضاً.

ذلك لأن الإسلام ليس مجرد مظاهر ورسوم، ولكنه عقيدة تمتلئ بها جوانب النفس فتضيء إشراقاً ومحبّة للجميع.

(٢) ضرورة فهم العقلية الغربية، والتعامل معها من هذا المنطلق، فالله قد خلقنا مختلفين لنتعارف: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[٥١]. وهذا التعارف هو الخطوة الأولى للفهم المتبادل مع المحافظة على الذاتية الإسلامية للمسلمين في الغرب من جانب والمشاركة الفعالة في أنشطة المجتمعات الغربية من جانب آخر.

(٣) إقامة الندوات العلمية المشتركة مع العناصر الغربية المستعدة للتفاهم والمحبة للتعايش في سلام وأمن واستقرار مع المسلمين، وفتح حوار إيجابي معها، يركز على العناصر الإيجابية المشتركة وينحي – جانباً- كل ما من شأنه أن يعكر صفو العلاقات بين الجانبين.

51- سورة الحجرات، الآية ١٣.

ثالثاً: ما يتعلق بالغرب:

أما الركيزة الأخيرة فهي خاصة بالغرب، وهي تتوقف على مدى تحقق الركيزتين، فالخطاب الإسلامي لن يأتي من الغرب، ولكنه يأتي من الجانب الإسلامي.

ولكن أسئلة عدة توجه:

(١) ما مدى استعداد الغرب لتصحيح الأخطاء في المعلومات المدرسية عن الإسلام حتى لا تنشأ الأجيال الغربية الجديدة وهي تسير في نفس خط المعاداة للإسلام والمسلمين؟.

(٢) ما مدى استعداد الغرب للتعامل مع الإسلام بموضوعية وإنصاف في وسائل الإعلام كما يفعل مع الديانات الأخرى؟.

(٣) ما مدى جدّية المجتمعات الغربية في مكافحة العنصرية المعادية للأجانب بصفة عامة، وللإسلام والمسلمين بصفة خاصة؟.

(٤) ما مدى تقبل المجتمعات الغربية للوجود الإسلامي؟.

إن من الواضح أن تعديل المواقف والتصورات الغربية والإجابة عن هذه التساؤلات يتوقف على مدى تعاملنا الإيجابي مع الركيزتين السابقتين، وهذا يضاعف من مسئوليتنا على مستوى العالم الإسلامي من جهة، وعلى مستوى الأقليات المسلمة في الغرب من جهة أخرى.

ويبقى بعد ذلك أن نرتفع عن تملق أنفسنا، وأن نصدق في أقوالنا وأفعالنا والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

أهم المراجع التى اعتمد عليها البحث

١ – القران الكريم جل من أنزله

---

٢ – اساس البلاغه للزمخشري ط دار المعرفة – بيروت

---

٣ – الاسلام والعالم د/ محمد خاتمي . تقديم محمد سليم العوا
ط الثالثة ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م مكتبة الشروق

---

٤ – أمريكا والإسلام النفعى محمد إبراهيم مبروك. دار الطباعة والنشر مدينة العاشر من رمضان

---

٥ – تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) لأبى جعفرمحمد بن جرير الطبرى

٦- تجديد الخطاب الدينى لماذا وكيف. العدد ٨٤ سلسلة قضايا إسلامية القاهرة ١٤٢٣هـ

٧- التجديد فى الفقه الإسلامى ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٨- ثقافة الداعية د/ يوسف القرضاوى . ط الثانية ١٩٨٦م مكتبة وهبه

٩- الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع . الحافظ الخطيب البغدادى ط. ١٩٨٣م مكتبة المعارف بالرياض

١٠- جامع بيان العلم وفضله. أبو يوسف بن عبدالبر .ط الثانية ١٩٦٨م المكتبة السلفية . المدينة المنورة

١١- حضارة العرب . غوستاف لوبون . ترجمة عادل زعيتر ط عيسى البابى الحلبى

١٢- حياه محمد . محمد حسين هيكل . مكتبة الأسرة ٢٠٠١م

-١٣ – الدعوة والدعاه فى العصر الحديث . د/ محمد إبراهيم الجيوشى . بدون . مطبعة الحسين

-١٤- السراج المنير للعزيزى

-١٥- سنن أبى داود . للأمام الحافظ أبى داود سليمان السجستانى نشر وتوزيع محمد على السيد ط الأولى ١٣٨٩هـ . حمص

-١٦- صحيح مسلم للأمام مسلم بن الحجاج القشيرى .تحقيق وإشراف عبدالله أحمد أبو زينه .دار الشعب

-١٧- علل وأدوية .الشيخ محمد الغزالى . دار الكتب الإسلامية بيروت

-١٨- عون المعبود شرح سنن أبى داود للعلامه أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى مع شرح الحافظ بن قيم الجوزية تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان . الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م

-١٩- الغارة على العالم الإسلامى . أ .ل شاتليه ترجمة محب الدين الخطيب

-٢٠- فتح البارى بشرح صحيح البخارى للأمام بن حجر ط دار الريان

-٢١- فقه السيرة الشيخ محمد الغزالى ط الثانية ١٩٨٢م دار الكتب الإسلامية بيروت

-٢٢- فيض القديرشرح الجامع الصغير للأمام المناوى ط المكتبة التجارية مصر

-٢٣- قوى الشر المتحالفة . د/محمد الدهاط دار الوفاء المنصورة

ثالثاً: ما يتعلق بالغرب:

أما الركيزة الأخيرة فهي خاصة بالغرب، وهي تتوقف على مدى تحقق الركيزتين، فالخطاب الإسلامي لن يأتي من الغرب، ولكنه يأتي من الجانب الإسلامي.

ولكن أسئلة عدة توجه:

(١) ما مدى استعداد الغرب لتصحيح الأخطاء في المعلومات المدرسية عن الإسلام حتى لا تنشأ الأجيال الغربية الجديدة وهي تسير في نفس خط المعاداة للإسلام والمسلمين؟.

(٢) ما مدى استعداد الغرب للتعامل مع الإسلام بموضوعية وإنصاف في وسائل الإعلام كما يفعل مع الديانات الأخرى؟.

(٣) ما مدى جدّية المجتمعات الغربية في مكافحة العنصرية المعادية للأجانب بصفة عامة، وللإسلام والمسلمين بصفة خاصة؟.

(٤) ما مدى تقبل المجتمعات الغربية للوجود الإسلامي؟.

إن من الواضح أن تعديل المواقف والتصورات الغربية والإجابة عن هذه التساؤلات يتوقف على مدى تعاملنا الإيجابي مع الركيزتين السابقتين، وهذا يضاعف من مسئوليتنا على مستوى العالم الإسلامي من جهة، وعلى مستوى الأقليات المسلمة في الغرب من جهة أخرى.

ويبقى بعد ذلك أن نرتفع عن تملق أنفسنا، وأن نصدق في أقوالنا وأفعالنا والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

أهم المراجع التي اعتمد عليها البحث

١ – القران الكريم جل من أنزله

---

٢ – اساس البلاغه للزمخشري ط دار المعرفة – بيروت

---

٣ – الاسلام والعالم د/ محمد خاتمي . تقديم محمد سليم العوا ط الثالثة ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م مكتبة الشروق

---

٤ – أمريكا والإسلام النفعى محمد إبراهيم مبروك. دار الطباعة والنشر مدينة العاشر من رمضان

---

٥ – تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) لأبى جعفرمحمد بن جرير الطبرى

٦- تجديد الخطاب الدينى لماذا وكيف. العدد ٨٤ سلسلة قضايا إسلامية القاهرة ١٤٢٣هـ

٧- التجديد فى الفقه الإسلامى ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٨- ثقافة الداعية د/ يوسف القرضاوى . ط الثانية ١٩٨٦م مكتبة وهبه

٩- الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع . الحافظ الخطيب البغدادى ط. ١٩٨٣م مكتبة المعارف بالرياض

١٠- جامع بيان العلم وفضله. أبو يوسف بن عبدالبر .ط الثانية ١٩٦٨م المكتبة السلفية . المدينة المنورة

١١- حضارة العرب . غوستاف لوبون . ترجمة عادل زعيتر ط عيسى البابى الحلبى

١٢- حياه محمد . محمد حسين هيكل . مكتبة الأسرة ٢٠٠١م

-١٣ - الدعوة والدعاه فى العصر الحديث . د/ محمد إبراهيم الجيوشى . بدون . مطبعة الحسين

-١٤- السراج المنير للعزيزى

-١٥- سنن أبى داود . للأمام الحافظ أبى داود سليمان السجستانى نشر وتوزيع محمد على السيد ط الأولى ١٣٨٩هـ . حمص

-١٦- صحيح مسلم للأمام مسلم بن الحجاج القشيرى .تحقيق وإشراف عبدالله أحمد أبو زينه .دار الشعب

-١٧- علل وأدوية .الشيخ محمد الغزالى . دار الكتب الإسلامية بيروت

-١٨- عون المعبود شرح سنن أبى داود للعلامه أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى مع شرح الحافظ بن قيم الجوزية تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان . الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م

-١٩- الغارة على العالم الإسلامى . أ .ل شاتليه ترجمة محب الدين الخطيب

-٢٠- فتح البارى بشرح صحيح البخارى للأمام بن حجر ط دار الريان

-٢١- فقه السيرة الشيخ محمد الغزالى ط الثانية ١٩٨٢م دار الكتب الإسلامية بيروت

-٢٢- فيض القديرشرح الجامع الصغير للأمام المناوى ط المكتبة التجارية مصر

-٢٣- قوى الشر المتحالفة . د/محمد الدهاط دار الوفاء المنصورة

-٢٤- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين الهندى مؤسسة الرسالة ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

-٢٥- لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف

-٢٦- مع الله دراسات فى الدعوة والدعاه الشيخ محمد الغزالى ط السادسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

-٢٧- من أجل صحوة راشدة د/يوسف القرضاوى .دار الشروق

-٢٨- من روائع حضارتنا .مصطفى السباعى ط الثانية ١٩٧٨م دار الإرشاد بيروت

-٢٩- هموم الأمة الإسلامية د/ محمود حمدى زقزوق سلسلة مكتبة الأسرة ٢٠٠١م

٣٠- الجرائدو المجلات:

مجلة الأزهر ذى الحجة ١٤٢٢هـ

الأهرام العدد ٤١٧٩٢فى١٥ صفر ١٤٢٢هـ ٢٠٠١/٥/٩م